٧٢

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية

عقدة لسان موسى (عليه السلام)

السيد مرتضى طالب الحسيني

1445هـ - 2024م

عقدة لسان موسى (عليه السلام)

إن الأنبياء (عليهم السلام) منزهون عن النقص والعاهات، وعلى ذلك تبتني عقيدتنا' وفي هذا البحث القصير تناول الكاتب الآية الكريمة: {وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي} ذاكراً آراء الفريقين من المفسرين في ثقل لسان نبي الله موسى (عليه السلام) بعدما التقم الجمرة، وقد حاول دفع هذه المنقصة عنه بالأدلة القاطعة.

عقدة لسان موسى (عليه السلام)

قال عزَّ مِن قائلٍ: {وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨}

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلَّ الله على محمدٍ وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الي يوم الدين.

المشهور عند أهل التفسير كابن كثير والرازي:

(إن موسى (عليه السلام) امتحنه فرعون بهذا لما نتف شيئا من لحيته فهم بقتله، فقالت له آسيا: إنه صبي لا يعقل وعلامته أن تقرب منه التمرة والجمرة فقربت إليه فأخذ الجمرة) ولم يذكرا سندا للقصة، وتسببَ تناولُ الجمرة إحداثَ عاهةٍ في لسانه منعته من النطق الواضح وقد اعتمدت هذه التفاسير على بعض الروايات المرسلة من الفريقين العامة والخاصة وهذه الروايات وإن كان لها صيغ متعددة إلا أنها تشترك في معنى واحد وهو أن فرعون أراد أن يقتل موسى (عليه السلام) بعد ان صدر منه أمرا أغضبه فقالت امرأة فرعون: (إنه صبي لا يعقل وعلامته أن تقرب منه التمرة والجمرة فقربت إليه فأخذ الجمرة) فجاء جبرائيل (عليه السلام) فصرفه إلى الجمرة فاحترق لسانه.

وشُكَّ في هذه الرواية من علماء الشيعة والسنة، فالرواية مرسلة من جهة الاسناد، ومن جهة المتن لا يمكن أن تكون مفسرة لقوله تعالى: {وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي} والسبب في أنَّها لا تصلح لعدة وجوه:

منها:

أنَّ الظاهر في الرواية انها تثبت عاهة ونقصا في نبي الله موسى (عليه السلام) وهذا خلاف المبدأ العقلي الحاكم بكمال الانبياء من كل عيب أو نقص يوجب الهتك فيهم.

ومنها:

أنَّه (عليه السلام) عاش فترة طويلة في قومه قبل بعثته كما عاش عشرة أعوام في مِدْيَن ولا توجد أيُّ إشارة تشير إلى أنَّه كان فيه هكذا علة وأنه لم يتحدث عن عقدة لسانه إلا بعد تكليفه بالرسالة فعندما كُلِّف بالرسالة أخذ يتحدث عن عقدة لسانه وهذا الامر يقودنا إلى النظر لهذه الآية المباركة بعيداً عن هذه الرواية حتى نعرف ما هو المقصود من عقدة اللسان التي بدأت مع التكليف بالرسالة؟

ومنها:

قوله تعالى: ((وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي)) لا تدل بالضرورة على وجود عيب في اللسان سواء عيب خُلقي أو عيب عارض عن احتراقه بالنار فعقدة اللسان تحدث في مواقف كثيرة مثل: الرهبة والدهشة والخشية وبالتالي ليس بالضرورة تفسيره بوجود عقدة في لسانه أو عاهة فيه.

"خاصّة وأنّه بيّن علةَ هذا الطلب فقال: (يفقهوا قولي) فهذه الجملة في الحقيقة تفسير للآية التي قبلها، ومنها يتّضح أنّ المراد من حلّ عقدة اللسان لم يكن هو التلكؤ وبعض العسر في النطق الذي أصاب لسان موسى (عليه السلام) نتيجة احتراقه في مرحلة الطفولة – كما نقل ذلك بعض المفسّرين عن ابن عباس - بل المراد عقد اللسان المانعة من إدراك وفهم السامع، أي أراد التكلم بدرجة من الفصاحة والبلاغة والتعبير بحيث يدرك السامع مراده من الكلام جيداً" كما قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في الأمثل، فالكلام يختلف بالضرورة من مكان إلى آخر ومن مقام إلى آخر ومن موضوع إلى آخر ومن مخاطب إلى آخر كما يقال: (لكل مقام مقال)، وبذلك يكون موسى (عليه السلام) طلب من الله عز وجل أن يمكنه من الكلام بالشكل الذي يكون مفهوماً وواضحاً.

والذي يرجح هذا المعنى هو أن موسى (عليه السلام) بين علةَ طلبِه في تكملة الآية المباركة ((يفقهوا قولي)) فهذه الجملة هي تفسير لما قبلها. فالمراد هو تفهيم السامع الى ما يصبو اليه وبسبب اختلاف الموضوع أو بسبب ثقافة السامع أو بسبب الحالة النفسية عند الطرفين أو غير ذلك، ونظير ذلك هو أنني أكتب هذا البحث وأنا أطلب من الله عز وجل أن يحل العقدة من لساني حتى أُوفق في شرح وبيان ما أريد إيصاله على الوجه الصحيح للقارئ الكريم، وهذا الشي متعارف لدى أغلب الناس.

ومنها:

هذه الآية جاءت في دعاء موسى (عليه السلام) لربه بعد أن كلفه بالذهاب إلى فرعون، قال تعالى: ((اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ)) فقال موسى: ((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي))، فدعاء موسى (عليه السلام) لا يعني أنه كان فاقدا لها مما لا شك فيه أن الله لم يختر موسى (عليه السلام) للرسالة إلا بعدما كان صدره منشرح بالإيمان لأنه نبي وقائد ويجب أن يتحلى بالصفات التي تؤهله لذلك كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه في النهج: ((آلة الرياسة سعة الصدر)).

وخاصة أن الله هو الذي تكفل به وبرعايته منذ نعومة أظفاره قال تعالى: ((وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) وفي آية أخرى: ((وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي))، فيفهم من ذلك كله هو أن الله تكفل وتدخل بنفسه لصناعة موسى (عليه السلام) ورعايته وهذا يدل على وجود دور كبير وخطير يتم إعداد موسى لأجله بمعنى أن هناك مهمة صعبة تنتظر موسى (عليه السلام) تستدعي كل هذه العناية والرعاية الإلهية ولذا ليس من الغريب أن يستعظم موسى هذه المهمة عندما يكلف بها فطلب حينئذ العون من الله تعالى من خلال شرح صدره وإحلال عقدة لسانه تأييده بأخيه هارون.

وما ورد في الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي يُقرر ذلك: وقد استعظم موسى ما سجل عليه ربه من أمر الرسالة وقد كان على علم بما عليه أمة القبط من الشوكة والقوة وعلى رأس هذه الأمة المتجبرة فرعون الطاغي الذي كان يدعي لنفسه الربوبية وينادي أنا ربكم الأعلى.

ومنها: بين إرسال موسى (عليه السلام) إلى فرعون وبين طلبه من إحلال العقدة من لسانه فهناك علاقة وارتباط واضح بينهما ويتضح ذلك من خلال آيات أُخرى: ((وإذ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ)) وهذه الآيات تكشف بوضوح أن وراء عقدة اللسان هي ضيق الصدر هو الخوف من تكذيبه ويضيف عليها أمر آخر وهو عليه ذنب فأخاف أن يقتلوه بسبب طغيان فرعون، لذا طلب موسى (عليه السلام) إرسال أخيه معه ليتحدث نيابة عنه ومن هنا يمكننا أيضاً تفسير قوله تعالى: ((وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ)) وورد في كتاب الوسيط للطنطاوي: هو أقدر مني على المدافعة عن الدعوى وعلى تبيان الحق وتوضيحه.

وورد في الطبري اي يبين لهم عني ما اخاطبهم به فأنه يفهم ما لا يفهمون، وقيل: إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه لان الاثنين إذا اجتمعا على الخير كانت النفس الى تصديقهما أسكن منها الى تصديق الخبر الواحد.

ويمكن حمل حرف الجر من بمعنى عن فيكون المعنى أفصح عني اي يسنده في التبليغ ويدرأ عنه ما يلزمه، وان وصف هارون بالفصاحة لا يعني كون موسى (عليه السلام) غير فصيح أو أقل فصاحة منه وإنما يعني أن هارون أقل انفعالاً وتأثراً وحمية على ما يفعله فرعون وملأه.

والدليل على ذلك أن موسى (عليه السلام) علل عدم فصاحته وعقدة لسانه بضيق صدره حيث قال: ((وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي)) أيضاً أرْجع ضيق الصدر إلى خوفه من التكذيب ((قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ)) فطلب إرسال هارون (عليه السلام) معه والمشترك في جميع الآيات هو خوف موسى (عليه السلام) من التكذيب فاحتاج الى هارون (عليه السلام) حتى يكون شاهد على صدقه وهذا ما صرحت به هذه الآية وهي قوله تعالى: ((فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ)).

تنبيه:

في الحقيقة تميز القرآن بأسلوب طرح مُعجز وهو نثر القصة على أطرافه المباركة مما يجعل الذين في قلوبهم مرض يتبعون ما تشابه منه ويمنَّ على أهل الحق بالتوصل الى الهداية وهذا الاسلوب نراه حاصلا في كثيرٍ من الموارد كقضية الميثاق في قوله تعالى: (وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ) ففي هذه الآية أول ميثاق هو ألست بربكم، والامر لا يتوقف هنا بل يتعدى الى آيات أخرى كقوله تعالى: (أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٨ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ) يُذكر بنفس الميثاق ويضيف له تعالى أن لا تعبدوا الشيطان وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولا يتوقف هنا بل الناظر المتمعن يرجع لقوله تعالى في أول سورة يس: (يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) ويس من اسماء النبي الاعظم (صل الله عليه واله) وبذا يكون الصراط الواجب اتباعه كما في الميثاق هو النبي الأكرم (صل الله عليه واله) وبالنظر الى ما ورد من أمثال قول النبي الأكرم (صلى الله عليه واله): (حُسينٌ مني وأنا من حُسين) يتضح بذلك الصراط المستقيم، والترابط بين النكتة وما سبق أنَّ قول موسى (عليه السلام): (واحلل عقدة من لساني) في موضع وقوله: (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) يغفل عنه كثيرون لتركهم الجمع بين اطراف الموضوع وبذا يكون صرف معنى الآية المُختارة لما هو مزبور من الكلام.